ومنك السلام

أمره كله خير

في اليوم التالي جلست في مقعـدي الأثير بجـوار جدتي، وأخذت أتعطر بعطرها، وأتبخر ببخورها العبق.

كل مافيها يربطني بالماضي وأصالته، الرحمة المتجذرة فيها،الفطرة التي لم تشبها شائبة، التسليم والامتنـان للرحمن من غير تبرمٍ وجزع.

قطعت حبل أفكاري وهي تقول: "أين أباك لنكمل حـوار الأمس عن الخيرة، وربك لا يكتب إلا الخير"؟

أطرقتُ رأسي خجلة -وهي تؤكد على موضــوع الخيرية- كيف لهذا الإيمان المتجذر في قلبها أن لاتزعزعه فكـرة، ولا تمر به شبهة، وهي التي لم تحظ بتعليم شرعي، ولم تتلقَّ العلـم على مقاعد الدراسـة.

استوعبت للتو الدعاء الذي كانت تدعو به معلمتي؛ وهي تسهب في شرح الأدلة على وجود الله، ثم تعتذر لذلك بقولها: "اللهم اعفُ عني وأنا أدلل عليك، وأبرهن على وجودك، وأنت الظاهر الذي لايخفى، والموجود الذي قام به كل الوجود".

ثم تقول: **"اللهم إيمانا كإيمان العجائز"**، لا شك أنها تقصد جدتي وأمثالها.

دخل والدي مسرعاً معتذراً عن التأخير، متعللاً بالزحام غير المتوقع في السوق المركزي -لتزاحم الناس على البضائع الغذائية- ثم جلس متنهداً وهو يقول:

ما رأيته اليوم كان مصداقاً لكلام الله عزوجل:

(إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً) ...

وبادرني بالسؤال: أين توقفنا في حديثنا بالأمس؟

أجبت على الفور: كنا قد توقفنا عند حديث الطاعون: عن عائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أم المؤمنين أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُول اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنِ الطَّاعُونِ، فَأَخْبَرَهَا أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ يشاءُ، فَجَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنينَ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ فِي الطَّاعُونِ، فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابرًا مُحْتَسِبًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ.

فكيف يكون البلاء رحمةً وعذاباً في الوقت نفسه؟

قال: هل تتذكرين تلك العقـابات التي كنا نلحقهـا بكـم أنت وإخوتك: من حرمـان للمصـروف، ومنـع زيـارة، أو فقدان أجهزة، وغيرها...

هل تعتقــدين أننا حينمــا نقــرر ذلك -أنا ووالدتـك- أن هدفنــــا هو تعذيبكم وحرمــانكم ممــا تحبون؟ أوالمبالغـة في إيذائكم؟

قلت :مؤكد يا أبي أنكم لم تفعلوا ما فعلتم إلا من أجل مصلحتنا، وبدافـع الحب والرحمة والرغبـة في إصـلاح اعوجاجنا...

تدخلت جدتي هنا لتقول: بالضبط.. هذا هو بيت القصيد: الرغبـة في إصـلاح اعوجاجنا، وهو الأساس في ابتلاءات ربنا.

هز أبي رأسه بالإيجاب: "ولذلك يقول تعالى:

(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ).

لاحظي الآيـات ووقعهــا على النفس!

ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون...

ابتلانا ربنا ليردنــا إليه رداً جميــلاً...

ابتلانا ليعاتبنا على ما بدر وصدر منا..

كم أذنبنا؟
وكم تقاعسنا عن أداء واجباتنا؟
وكم أجلنا فروضنا؟
وكم سيرتنا شهواتنا وأهواؤنا؟؟
وكم .... وكم .... (ويعف عن كثير)!

فابتلينا الآن بفايروس دقيق لا يرى بالعين المجردة، حجرنا في بيوتنا، وحرمنا من نعم كنا نتمتع بهــا؛ كي نراجع حســاباتنا مع ربنــا ونتذكر تقصيـرنا ونتـوب ونرجع إليه.

قلت متأثرة: سبحانه!
فعلاً نحن مقصرون .. عسى الله أن يعفو عنا!
إذن هذه الرحمة المبطنة في ظل تلك الابتلاءات؛ فكيف بالابتلاء؟

أجــاب والدي: العــذاب يكــون للمشركين، الذين قد جحدوا بوجود الله، وغرتهم أنفسهم، وأصبح الإنسان يطغى، عندما ظن نفسه استغنى...
فصــار يزهو بقوته وجبروته، ويتفــاخر بعدته ومتــاعه، وظـن أنه المسبّب والسبب، وأخـذ يدنن بأطروحــات فلسفية، وأن الكون مستغنٍ عن رب البرية.

فجاءه الجواب من رب الأربـاب الذي لايعلم جنـوده إلاهو...
امتحانا بمخلـوق غير مرئي، يغزو العــالم ويفتك به في وقت قياسي.
فأين خبرتك أيها الإنسان ؟
وأين قدرتك أمام العزيز الجبار؟

قلت: وهل تعتقد يا أبي أنهم فهمــوا الدرس ووعــوه؟

قال: لا يعقلها إلا المؤمن، فعن سلمان الفــارسي رضي اللّٰه عنه : "إن المسلم ليبتلى فيكون كفارة لما مضى ومستعتباً فيما بقي، وإن الكـافر يبتلى فمثله كمثل البعير أطلق، فلم يدر لم أطلق وعقل فلم يدر لم عقل".

قلت له : كلنـــا نعلــم أن اللّٰه رؤوف رحيـــم، ويجـازي بالإحســان إحســاناً وبالسيئات صفحاً وغفرانا، وهـــو القادر على رفع البلايا، وكشف الرزايا.
لماذا لا يخلصنــا اللّٰه من كل الابتلاءات الموجــودة على وجه البسيطة ويرفعها عنا لنتمتع بنعيم دائــم من غير مرضٍ أو قهرٍ أو حزن؟

قال: سؤالُ وجيه ...
لماذا لا يرفع عنا اللّٰه كل البلاء؟
لكنني لن أجيبك حتى أحدثك عن هبة الألم، ومنحة الفقد، ليكون لحديثنا مذاقٌ خاص في الغد...

قلت : بانتظارك على أحر من الجمر ...

"عَلَيكُم بِسُنّتي"

مركز دلائل
Dala'il Centre

0555485967 @Sunnati__ @S_Sunnati sunnati_40

sunnati_@hotmail.com http://cutt.us/dQxgf